عمارة مدافن الكوشيين في جبانة الكرو بشمالي السودان

محمد فتح الرحمن أحمد إدريس

ملخّص: تعود جذور مملكة نبتة الكوشية إلى نهاية القرن الحادي عشر ق. م.، فقد ظهرت مشيخة محلية في قرية الكرو التي تقع على مسافة ١٥ كلم إلى الجنوب من جبل البركل، شمالي السودان. في نحو منتصف القرن الثامن ق. م. تطورت المشيخة إلى دولة (نبتة) وبسطت سيطرتها على مصر، وأخذت لقب «الأسرة ٢٥» قبل أن تمتد شمالاً وتدخل في صراعات مع الأشوريين، حكام بلاد الرافدين. تحوي مقبرة الكرو مدافن ملوك الأسرة ٢٥ وملكاتها وأسلافهم. كشفت التنقيبات السابقة واللاحقة عن مراحل تطور معماري متصل ومترابط الأجزاء بدءًا من مدافن تقليدية ركامية إلى أهرامات بحجرات دفن مقطوعة في الصخر مزيّنة الجدران. تهدف هذه الدراسة إلى كشف أسلوب البناء وتطور فلسفة البناء والعمارة والتغيّرات التي طرأت عليها وتأثيراتها وعلاقتها بالمحيط البيئي والمعتقد، والعوامل التي ساعدت في تطورها، ثم محاولة إثبات مدى طابعها المحلي المستند على تقاليد محلية سابقة وأنماطها وتباينها.

كلمات مفتاحية: المدافن، عمارة المدافن، مملكة الكوشية، الكرو، السودان.

***Abstract*:** *The roots of the Kushite kingdom of Napata date back to the end of 11th Century. There was a local chiefdom in the village of El-Kurru, located 15 km south of Jebel Barkal in northern Sudan. By the middle of the 8th Century B.C, the chiefdom became an organized state (Napata), extending its dominance all aver Egypt, adopting the title of the "Twenty-fifth Dynasty of Egypt", before pushing north and engaging in conflicts with the Assyrians of Mesopotamia. El-Kurru cemetery houses the burial ground of the "Twenty-fifth Dynasty of Egypt", kings, queens and their ancestors. Previous and subsequent excavations revealed stages of continuous, interconnected architectural development, starting from traditional mound burials to pyramids with rock-cut burial chambers with decorated walls. This study aims to reveal the construction style, the philosophy of building and architecture development, the changes that occurred and their effects, architecture relationship to the environment and belief, and the factors that helped its development. The study will also attempt to explore the extent of its local character based on previous local traditions, patterns and variations.*

الموقـع

يحتل موقع جبانة الكرو الملكية، موضوع هذا البحث، رابية في قرية الكرو على الضفة الشرقية للنيل على مسافة ١٥ كلم جنوب جبل البركل (الشكل ١). لم يأت ذكر الاسم (الكرو) في مصادر الحضارات التي سبقتها، ولا تبدو للاسم دلالة مباشرة في اللغتين العربية أو النوبية، وتبقى إمكانية علاقتها بعبارة (كاري)، الاسم الذي عرفت به المنطقة إبّان حقبة الدولة المصرية الحديثة، أو بعبارة (قور qore) أو (كور kwr) التي تعني «ملك» في الكوشية، محل استقصاء.

أما موضع الجبانة فهو رابيه تقع عند الطرف الشمالي من القرية، وتعلو عن مستوى سطح البحر بنحو ١٣,٥ مترًا، وتنحدر نحو ثلاثة اتجاهات، عدا الاتجاه الغربي، ويقطعها مجريان قديمان (شقتهما الأمطار في عصور قديمة) يقسمان الموقع إلى ثلاثة أجزاء: شمالي، ووسطي، وجنوبي (الشكل ١).

حوى الجزء الشمالي مدافن بعض الملكات و٢٤

مدفنًا لخيول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين. والجزء الأوسط من الجبانة هو الجزء الرئيس؛ إذ حوى مدافن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وأسلافهم. كما حوى الجزء الجنوبي مدافن زوجات ملوك تلك الأسرة (محمد علي وعبد الله،٢٠١٠: ٢٨).

الأعمال الأثرية بموقع الكرو

جاء ذكر الكرو في عديد من سجلات الرحالة والمستكشفين الذين زاروا السودان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، في زيارات استكشافية.

بدأت أول الأعمال الأثرية في الموقع بواسطة البعثة المشتركة لجامعة هارفارد، ومتحف بوسطن للفنون الجميلة بالولايات المتحدة الأمريكية، بقيادة جورج اندرو رايزنر G. A. Riesner الذي استطاع أن يضع التسلسل التاريخي لمدافن هذه الجبانة. كانت البداية أو التنقيب في ٢٦ يناير من العام ١٩١٩م، وكان الشروع عمليًا في ٤ فبراير، وتم بناء مخيم لرايزنر واستمر العمل حتى ٤ مايو، وتم العمل في الجبانة وتسجيلها أثريًا، وبعد وفاة رايزنر في العام ١٩٤٢ تولى مساعده دوز دنم نشر أعماله، فنشر أول مجلد من سلسلة تلك الأعمال باسم الكرو تحت سلسلة مدافن كوش الملكية (Dunham 1950; 132). وأضافت أعماله الأثرية في الكرو والمواقع الأثرية الأخرى ذات الصلة التي أجرى فيها أعمالًا سابقة على عمله في الكرو (نوري والبركل) العديد من المعلومات عن الحضارة السودانية، بالرغم من التفسيرات التي وضعها وفقًا للمدرسة الفكرية التي ينتمي إليها وهي المدرسة الانتشارية المصرية (محمد علي وعبدالله،٢٠١٠: ٣٠).

لم تجرِ أي أعمال آثارية في الموقع بعد ذلك حتى عام ١٩٩٩م، إذ أجرت بعثة جامعة دنقلا مسحًا في الموقع لموسم واحد في المحجر الذي يقع في الاتجاه الشمالي من الموقع، بغرض كشف مصدر الحجارة التي استخدمت في بناء المدافن. عادت بعثة جامعة دنقلا للعمل في الموقع، وتقدمت بمشروع لإعادة تأهيله ضمن المشاريع الممولة من الدعم المقدم من منظمة تنمية آثار النوبة (قطر السودان)، بقيادة "عباس سيد أحمد محمد علي" ونفذت البعثة خمسة مواسم (٢٠١٤-٢٠١٩)، تركز العمل في الموسم الأول على رفع الركام الذي خلفته أعمال رايزنر وظل باقيًا في الموقع لمدة نحو قرن كامل (١٩١٩م-٢٠١٤م).

تركّز العمل في الموسم الثاني (١٩١٤-١٩١٥) على رفع مخلفات الرديم المتبقي داخل الموقع والبدء بإحاطته بسور. ثم تواصل العمل في التسوير في الموسمين الثالث والرابع، وبُنِي مدخل رئيس للموقع مع غرفتين ملحقتين بالمدخل، وأُعدت خريطة حديثة حوت كل أحداثيات المدافن وتجهيز مسار يحدد حركة سير الزوار، حسب التسلسل التاريخي للجبانة، وفي البدء، درست البعثة الفخار المستخرج من الرديم، والذي ضمَّ آلأف القطع الفخارية، وكسر الرخام، والمواد العضوية التي يجري العمل فيها، إضافة إلى كشف عدد آخر من المحاجر، وإعادة حفر المحاجر، وإجراء مسوحات أثرية حول الموقع.

إلى جانب بعثة جامعة دنقلا، بدأت بعثة مشتركة بين جامعة متشجان وجامعة كوبنهاجن العمل في جزء محدد في المنطقة الشرقية من الموقع في العام ٢٠١٣م، وِفق الرخصة الممنوحة من الهيئة العامة للأثار والمتاحف، الموقع بقيادة جيفري امبرلنق (Geoff Emberling 2013)، وقد تركّز العمل في تنظيف المعبد الجنائزي الملحق بالجبانة والهرم (رقم ١) مستفيدة في أعمالها على مذكرات رايزنر؛ لإعادة كشف بعض المعالم التي كشفها رايزنر قبل مئة عام وغطتها الرمال لاحقًا، بإجراء مسوحات جيوفيزيائية ورسم تخطيطي للمعبد الجنائزي، ومحاولة إعادة ترميم للرسومات الموجودة في مقبرتي تانوت آمون ووالدته كلهاته (الكرو ١٦- والكرو ٥).

الموقع

ذكرت المصادر والكتابات القديمة أن الكرو كانت مدينة مسوّرة، وتأكد ذلك بعد أن تولى تيموث كيندال مراجعة المادة الأثرية من جبانة الكرو المحفوظة في

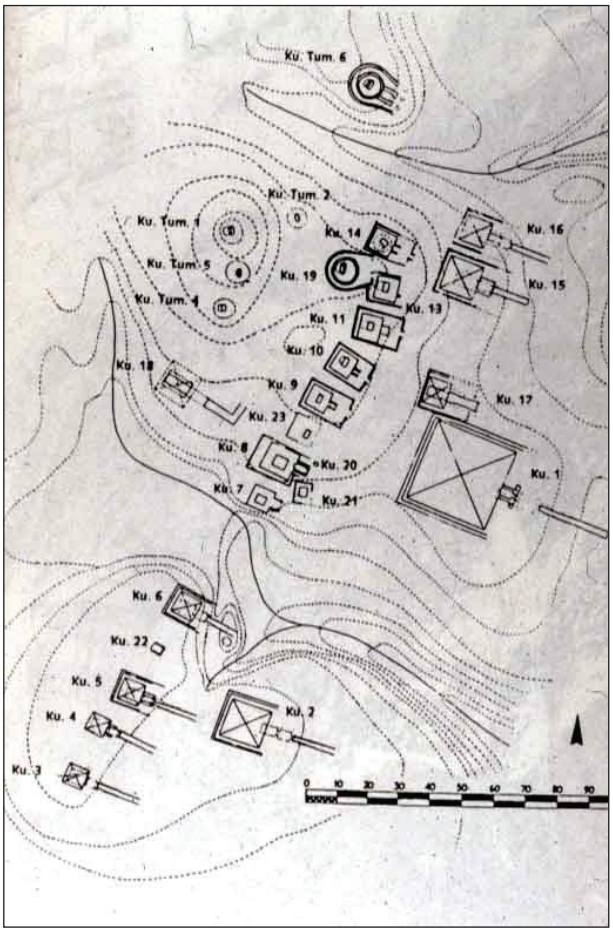

الشكل ١: خريطة طبوغرافية لموقع جبانة الكرو (Dunham 1950)

متحف بوسطن، وتوصل إلى أن رايزنر وصف الكرو بأنها مدينة ذات أسوار وتحصين (kendall,1992:49). وفي الغالب، كانت المدن القديمة تقوم في أماكن معينة لتؤدي خدمات ضرورية للمجتمع، تتغير وظيفتها بمرور الزمن، ولكن الذي يحدد نوع الوظيفة، التي قامت المدينة من أجلها، هو طبيعة المكان الذي تقوم عليه، والعامل الذي يتحكم إلى حد كبير في نموها، ويساعد على تغيير وظائفها، فيما بعد (location of situation).

ولتقدير أهمية موضع أي مدينة، يجب العودة إلى الوراء إلى موضع المكان، أي إلى الوقت الذي أُنشئت فيه هذه المدينة؛ لدراسة البيئة المحلية، والأحوال الاجتماعية، والاقتصادية، السائدة حينذاك؛ حتى يتسنى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، مثل: اختيار مكان بعينه لقيام تلك المدينة، وما العوامل المهمة التي ساعدت على تحديد الموضع الذي تشغله تلك المدينة؟ وما وسائل الدفاع الموجودة فيها لحمايتها؟ وما المقومات الأساسية لإقامة المدينة (وهيبة ١٩٩٠: ٧٠-٨٠). ولتطبيق ذلك على موقع الكرو كان لا بد أن نقف عند العوامل المؤثرة في تطور العمارة، موضوع هذا البحث في المنطقة، كأحد الجوانب الأساسية التي تميز أي موقع أثري وما هو دورها.

العوامل المؤثرة في تطور العمارة

هناك عدة عوامل تؤثر على تشكيل العمارة وتطورها ووظيفتها، أهمها البيئة التي تلعب دورًا مهمًا في أنماط العمارة التي استخدم فيها الإنسان الموارد المتاحة في بيئته التي بها يستطيع المواءمة بين المناخ السائد والمعمار المستهدف؛ ليحقق أهدافه (إدريس ١:٢٠١٣) ومن بين تلك العوامل الآتي:

أ/ العوامل الجغرافية

يعد نهر النيل من أهم العوامل التي ساعدت قديمًا على بروز منطقة الكرو كمستوطنة. ومن الطبيعي، أن النيل أسهم بشكل أو بآخر في نموها وتطور عمارتها؛ باعتبار أن النيل هو الشريان النابض بالحياة في المنطقة لاستخداماته المختلفة؛ فهو يلبي الاحتياجات الأساسية للحياة، والاستقرار البشري فيها. ولا نستبعد الدور التجاري في كثير من الحالات لأن معظم المواقع النبتيه في هذا الإقليم قامت على النيل كونه ممرًا تجاريًا على امتداد المناطق التي يشقها، وأحيانًا تشكل هذه المواقع معابر تواصل بين مناطق أخرى ومتباعدة. ويلاحظ أن الكرو تقع مع بداية مجرى النيل بعد أن يجتاز الشلال الرابع، ليشق بعدها سهلًا واسعًا ومجرى خاليًا من العوائق، حتى يصل إلى الشلال الثالث بعد موقع مدينة كرمه شمالًا.

ب/ العوامل الجيولوجية

إن المصادر والموارد الطبيعية لكل إقليم تحدد سمات الطابع المعماري. والموقع قيد البحث يرتكز

اللوحة ١: المحجر رقم (١) داخل موقع الكرو، وعليه آثار القطع.

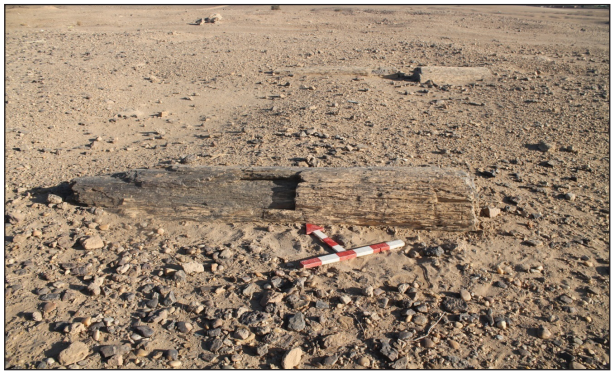

اللوحة ٢: انتشار بعض الأشجار المتحجرة والكسر الحجرية داخل الموقع.

كليًا، والمنطقة حوله، على قاعدة من الحجر الرملي النوبي، وقد كشف المسح عن وجود محجرين داخل الموقع استخدمت حجارتهما في بناء المساطب والأهرامات والمعبد الجنائزي، (اللوحة ١). وهناك مؤشرات لمحاجر أخرى حول الموقع، وربما تكشفها الأعمال الأثرية اللاحقة، تتخللها بعض الطبقات الجيرية التي تتخلل طبقاتها، والحجر الجيري صخر سهل التشغيل قليل الفراغات يقاوم الحريق حتى ٩٠٠ درجة مئوية (عطية ٢٠٠٤: ٥٧). وربما استخدمت المادة الجيرية في تبطين الحجرات الداخلية للأهرامات، كما قد تكون استخدمت في الرسومات والكتابات في غرف الدفن داخل الأهرامات.

ج/ العوامل المناخية

شهد موقع الكرو تباينًا في الظروف المناخية عبر الزمن. فالموقع تنتشر فيه أنواع من جذوع الأشجار المتحجرة petrified (اللوحة ٢) وعلى بعد ٥ كلم تقريبًا في الناحية الغربية من الموقع توجد غابة متحجرة، تحوي أنواعًا من الأشجار تحتاج إلى مناخ لا يتناسب مع المناخ السائد اليوم، فالمنطقة تقع الآن ضمن المناخ الصحراوي (السيد ١٩٧٢: ٨٢). والطقس حاليًا يميل إلى الجفاف، وربما حافظ هذا المناخ على وجود العمارة التي شيّدت في الموقع؛ إذ لا يبدو أن المناخ شهد تحولًا جزئيًا وكبيرًا منذ ثلاثة آلاف سنة الماضية. أما الأشجار المتحجرة التي تعود إلى عهود سابقة للفترة قيد البحث، فقد وفّرت ثروة هائلة من الحجارة التي يمكن استخدامها في بعض أجزاء العمارة.

تعود تلك الأشجار المتحجرة إلى العصر الطباشيري كما يعتقد، وعلى مرور العصور اللاحقة حدثت تحولات مناخية تعكسها بعض أنواع الأدوات الحجرية ذات الخصائص النوعية والتقنية المنتشرة على السطح، والتي تعكس بدورها ضروب التكيّف البشري خلال تلك العصور، حتى كان العصر البرونزي الذي كشف المسح عن ضروب من فخار حضارة كرمة التي تنتمي إليه، والذي امتد حتى ميلاد حضارة نبتة ونشأتها؛ ومن ثَمَّ فقد شكّلت المنطقة بيئة مناخية على مر امتداد العصور للوجود البشري.

د/ العوامل الدينية

لعبت التأثيرات الدينية دورًا مهمًا في نشاط العمارة؛ إذ دفع العامل الديني الكوشيين إلى الاهتمام بتشييد دور العبادة، والعناية بعمارة المدافن بوصفها بيوتًا خالدة. ويُلحظ غياب أي اثر لقصور ملكية وأماكن سكن للطبقات العليا من المجتمع، سواء من الحجارة أو الطوب أو أي مادة بنائية أخرى، باعتبارها بيوتًا للدنيا الزائلة، ما أدى لعدم بقائها؛ بينما نجد أن المقابر بُنيت من الحجر النوبي الرملي، بوصفها مساكن للخلود؛ ما يعد دليلًا على إيمانهم بحياة بعد الموت، عبّروا عنها في نقوشهم ورسوماتهم داخل حجرات الدفن.

هـ/ العوامل الاجتماعية

كل ما وجد من رسومات مدوّنة على جدران المباني

(الأهـرامـات والمعابد)، ومـا كشفت عنه التنقيبات السابقة والحالية من معثورات، وكل ما وجد من أثاث جنائزي، يبيّن مستوى الازدهار والثراء اللذين تمتعت بهما الأسـرة الكوشية الحاكمة، والمستوى التقني الذي توصل إليه المجتمع الكوشي (قادوس ٢٠١٤: ٤٧).

و/ العوامل التاريخية

ذكرت العديد من المصادر أن الحكام الكوشيين كانوا على اتصال مستمر مع مصر في مختلف المجالات؛ ما قاد إلى تأثير وتأثر بين الجانبين، أدى إلى اقتباس بعض طرز العمارة المصرية في كوش، وبخاصة بعد غزو الملك بعانخي لمصر، والعكس كذلك في نواحي أخرى (عبدالقادر محمود، ويوسف الأمين، ١٩٩٩: ٧٦).

بعد نهاية رايزنر من التنقيب في أجـزاء الجبانة الملكية الكوشية في الكرو وكذلك جبانة نوري (Dunham 1950) وجبانات البجراوية الثلاث بات واضحًا أن جبانة الكرو هي الأقـدم عهدًا، إذ إنها احتوت على مدافن أسـلاف ملوك الأسـرة ٢٥ في الترتيب المصري وبدأ في ترتيب تلك المدافن والملوك المدفونين بها، وكانت وسيلته في الترتيب أن الملك الأول يختار موقعًا ملائمًا في أعلى بقعة ليشيد مدفنه فيها، طالما لم يسبقه أحد إليه (Reisner 1919: 20).

ولمتابعة التطور لا بد من الانطلاق إلى الافتراض المعروف في علم الآثار بأفضلية المكان (Superposition)، وهـو مبدأ يُعمل به في التاريخ النسبي؛ يقوم على أن الإنسان إن أراد عمل شيء في مكان ما لم يسبقه إليه أحد فإنه يختار أفضل الأماكن على الإطلاق، وإن سبقه غيره فإنه يختار الأفضل مما تبقى من ذلك المكان؛ ما يعني أن الآثار الثابتة في ذلك المكان متعاقبة بتعاقب الأفضل فالأفضل من الأماكن التي تقوم عليها، ويسرى ذلك حتى على الرسومات والنقوش والكتابات على صفحات الجبال، ويكون التسلسل التاريخي النسبي حسب أفضليات أماكنها (محمد علي وعبدالله ٢٠١٠: ٣١).

استخدم رايزنر ذلك في ترتيبه للتعاقب التاريخي والتطور المتتالي للأشكال والأساليب المعمارية وطرق

اللوحة ٣: أحد المدافن الركامية (ركم ١)، سوّر بالحجارة غير المشذبة، يحيط بالمدفن، وفي الوسط غرفة الدفن المستديرة.

البناء، تم من خلاله تقسيم المدافن في موقع الكرو إلى أربـع مجموعات رئيسة، حسب التطور الـذي تم للبنيتين الفوقية والتحتية (Reisner 1919:79)، وكما لاحظ الباحث أن كل مجموعة من هذه المجموعات تحوي تطورًا وتعكس استمرارية في داخلها، إذ تربط نهاية كل مجموعة ببداية المجموعة التالية (فيما تـأتي المجموعات الأربـع حسب ترتيبها الزمني (الكرونولوجي)، وهـي: المقابر الركامية، والمقابر الركامية المسوّرة، والمصاطب، وأخيرًا الأهرامات.

أ/ المجموعة الأولى (المقابر الركامية)

تحتل الجزء الأعلى، إذ يقع المدفن الأقدم (ركم١) على الربوة بارتفاع ١٣,٥م، ويأتي بعده (ركم٥) على ارتفاع ١٢,٥م، ثم (ركم٤) على ارتفاع ١٢م، وأخيرا (ركم ٢) على ارتفاع ١١,٢٥م؛ وهنا نلاحظ الأفضلية للمدفن (ركم ١)، وتليها الأخريات (الشكل رقم ١). أما فيما يتعلق بالبناء العلوي (الخارجي) لهذه المقابر فهو يتكون من كومة دائرية من التراب والحصى يُراوح قطرها ما بين ٥م –٧,٣٠م، ولا يحدها سـور، وغير ملحق بها مقصورة جنائزية. والبناء السفلي لهذه المجموعة (الـداخـلـي) يتكون من حفرة صغيرة تحت السطح، تدنوها حفرة جانبية، أحيانًا، هي غرفة الدفن وليس عليها غطاء حجري، وتأخذ الحجرة شكلًا بيضاويًا في المقبرة (ركم١)؛ أما في بقية المدافن فقد تحولت إلى شكل مستطيل.

اللوحة ٤: أحد المدافن الركاميه المسوّرة بحجر مقطوع يظهر أعلى الصورة.

اللوحة ٥: المسطبة رقم ٧، حجرة الدفن مقطوعة في الصخر في اتجاه شرق غرب.

في هذه المجموعة من المدافن شكّلت البنية الفوقية من حجارة غير مشذّبه على السطح؛ إذ لا يوجد أثر للقطع ولا أثر لحجارة مقطوعة، مثل الحجارة الموجودة في المدافن اللاحقة التي احتوت على سور والتي يظهر فيها أثر الإزميل والقطع. كما شكّل المدفن Ku-٢ الموجود حسب التسلسل التاريخي الذي وضعه رايزنر علامة استفهام للباحث في مسالة ترتيبه، وسيأتي الحديث عنه لاحقًا. كذلك يلاحظ التطور في وضع الحجارة التي شكلت البناء الفوقي للمدافن المبكرة، مقارنة بالمدافن المتأخرة؛ إذ وضعت الحجارة أفقيا في المدافن (اللوحة ٣).

ب/ المجموعة الثانية (المقابر الركامية المسوّرة):

هذه المجموعة تحوي مدفنين هما ركم (٦) وركم (١٩)، تشتركان مع مدافن المجموعة الأولى في البناء الخارجي؛ إذ يبقى شكل الحفرة مستطيلًا، ويختلفان في البناء الداخلي؛ إذ يبدو المدفن من الخارج محاطًا بسور حجري يشبه حدوة الحصان.

أما البنية الداخلية (حفرة الدفن) فتتشكل من حفرة مستطيلة تتبعها حفرة أخرى جانبية شقت تحت السطح، ويصل بينهما درج من عتبة واحدة، وفي أرضية حجرة الدفن أربع حفر لإدخال أرجل السرير الذي يرقد علية المتوفى.

في هذه المجموعة بدأ استخدام المحاجر في الفترة النبتية، وربما قاد ذلك إلى استمرارها في المدافن اللاحقة التي تمثلت في المصاطب. وبينما تظهر المقبرة (الكرو ٦) مرحلة أولية في استخدام المحاجر فإن المقبرة الأخرى في المدفن (الكرو ١٩) تظهر تطورًا تقنيًا في شكل الحجارة المشذبه والموضوعة بشكل جيد، وهي أكثر ترتيبًا وأفضل نسبيًا من رصيفاتها، في المدفن (٦)؛ إذ وضعت حجارة السور متباعدة، ومقصورة أمامية شكلت من الطين اللبن (اللوحة ٤).

ج/ المجموعة الثالثة (المصاطب):

تصطف تسع مصاطب أمام المقابر الركامية والمسوّرة بسور حجري على هيئة حدوة الفرس، هي المصاطب ذوات الأرقام: (٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ٢١،٢٣)، وهذا النوع مشابه للمدافن الركامية في البناء السفلي؛ إذ إن حجرتي الدفن مقطوعتان في الحجر الرملي (اللوحة ٥).

وقد صممت الحجرة السفلى الجانبية لتحوي المدفن، وبها الطوب اللبن يفصل بينها وبين الحجرة العليا. كما يوجد في بعض المدافن درج يربط بين الحجرتين، أحيانا يصل إلى درجتين أو ثلاث درجات. والتطور الكبير الذي حدث هنا هو توجيه المدفن تحديدًا وبوضوح وربما يُعزى ذلك إلى التطور الذي حدث في العمارة؛ إذ أصبحت اتجاهات البناء أكثر وضوحًا، وأكثر من كونه نتيجة عوامل عقائدية أو

نحوها في اتجاه (شرق غرب)، وتطوّر السقف ليصبح مجموعة متراصة من الحجارة (corbel)، ولا يوجد مدخل لها إلا من الأعلى (محمد علي وعبدالله٢٠١٠: ٣٥). تشترك المصاطب في الشكل العام أو التخطيط، لكنها تتفاوت في المساحات، والسور الحجري المحيط بها، والمقصورات الأمامية، كما تتباين أحجام الحجارة المشذبة من مصطبة إلى أخرى في كيفية وضع الحجارة؛ طولية أو عرضية، حتى في المدفن الواحد، ويتم تثبيتها بمادة البلايستر الأبيض الذي يظهر في معظم المدافن (اللوحة ٦).

ملاحظات على الترتيب الزمني والمعماري

قبل أن نطرق باب المرحلة الرابعة والأخيرة (الأهرامات) هناك ملاحظات من ناحية الترتيب الزمني والمعماري، لا بد من الوقوف عندها.

١/غياب الدفن في الجزء الشمالي والجنوبي، إذ تركز الدفن في الجبانة الوسطى من المقبرة. يلاحظ هنا غياب أي مدفن في الجزء الشمالي والجنوبي من المقبرة؛ فقد بدأ الدفن فيه في المرحلة اللاحقة (الأهرامات)، فحوى مدافن بعض الملكات؛ ما يعني أن الملكات في المرحلة السابقة للأهرامات كن يقبرن في الجزء الأوسط حيث أزواجهن في المراحل الثلاثة المبكرة. والسبب في بداية هذا التحوّل ربما يضيف الحيّز المساحي في المنطقة الوسطى، خاصة وأن الرابية الوسطي تسير إلى الانحدار نحو الشرق؛ أما إن كان ذلك لأسباب تتعلق بأمور أخرى، فربما يكشف عنه لاحقًا.

٢/ المدافن الرأسية shaft. يحوي الجزء الشمالي من المقبرة خمسة مدافن رأسية لملكات عثر على أسماء بعضهن (نفروك، كاشتا، وتابيري) يرجع تاريخهن إلى فترة الملك بعانخي (٧٥١-٧١٦ ق.م.) هذه المدافن حفرت بشكل رأسي من أعلى إلى أسفل على امتداد نحو مترين. وفي الأسفل نجد حفرة جانبية تشكل حفرة الدفن وتحوي في داخلها مصطبة قطعت من

اللوحة ٦: مسطبة رقم ١٠ بها المقصورة الامامية ربطت حجارتها بالبلايستر.

اللوحة ٧: أحد مدافن shaft الرأسية للملكات بالجبانة الشمالية.

أصل الصخر، يوضع عليها سرير الدفن بديلًا للحفر التي كانت تحفر في سطح الحجرة؛ ولم يكن من دليل على أي بناء فوقي في وقت كشف أي من هذه المدافن (اللوحة ٧).

٣/ على مقربة من المدافن الرأسية وفي اتجاه الشرق هناك مدافن الخيول التي حفرت في الصخر متخذة شكل الحصان واقفًا أي عميقة عن أطراف الحيوان الأمامية والخلفية، ومرتفعة عند الوسط. مدافن هذه الخيول شيّدت معاصرة للأهرامات؛ إذ عُثر على بعض أسماء ملوك الأسرة عليها. وفي هذا إشارة واضحة لمعتقد إيماني لحياة أخرى قادمة لكل من هؤلاء الملوك ليجد حصانه بانتظاره.

د/ المجموعة الرابعة (الأهرامات):

تحوي مقبرة الكرو أهرامات جميعها فقدت الجزء

اللوحة ٨: حُجرة الدفن بالهرم رقم ١٧ مقطوعة داخل الصخر.

اللوحة ٩: المدرجات بالهرم رقم (٢) من أعلى إلى أسفل، مقطوعة في الصخر يتم عبرها الوصول إلى حُجرة الدفن.

العلوي من بنائها، إذ نقلت حجارتها في أوقات لاحقة إلى مباني القرية، وتوزعت بين المساكن، واستخدمت شواهد قبور في المدافن الحديثة (الإسلامية). تتوزع الأهرامات بين الجزء الأوسط والجنوبي من الجبانة وهنا يظهر التأثير المصري؛ إذ لم تظهر هذه التقنية إلا بعد غزو الملك بعانخي لمصر، وضمها لدولة كوش وتأسيس الأسرة ٢٥. لذا نجد أول هرم بني في المقبرة هو الهرم رقم ١٧ الخاص بالملك بعانخي (٧٥١-٧١٦ ق.م.)، إذ يتكون المدفن من حُجرة دفن واحدة عميقة مقطوعة في الصخر تحت السطح، يعلوها على السطح هرم، ومسقوفة بالحجارة، ويتم الوصول إليها ايضًا عبر مدرج مقطوع في الصخر، يتكون من (١٩) درجة (اللوحة ٨). وهذه التقنية نفسها أو أسلوب عمارة المدفن حدثت فيها إضافات؛ إذ أصبحت الأهرامات التي أعقبتها تتكون من غرفتين للدفن بدلًا عن غرفة واحدة، ويتم الوصول إليها عبر مدرجات تتفاوت في عددها بين مدفن وآخر (اللوحة ٩) (Dunham1950;).

وفي فترة لاحقة ازدادت حجرات الدفن إلى ثلاث (الهرم ٣ في جبانة نوري) أصبحت فيه غرف الدفن ثلاث غرف وكان هذا التطور في زيادة غرف الدفن (البنية الداخلية) في نوري (الهرم نوري ٣) عهد الملك سنكامسكن (٦٤٣-٦٢٣ ق.م)، والهرم رقم (١) بالكرو هو الهرم الوحيد الذي يقف الآن شامخًا في أسفل المقبرة. ويعتقد كيندال أنه بُنيَ متأخرًا نسبيًا نحو (٣٧-٣٥٠ق.م.) (kendall 1999:118) (اللوحة ١٠).

توجد تحت الهرم ثلاث حجرات ربما كانت تحوي الحجرتان الأولى والثانية على الأثاث الجنائزي، وأدوات الملك، والحجرة الثالثة يوجد بها الدكة الحجرية التي يوضع عليها التابوت، والمدخل بين الغرفتين مقوّس في أعلاه، يمثل (arch) مقطوع داخل الصخر (اللوحة ١١) (Dunham 1950: 175).

تتقارب الأهرامات في عمارتها الداخلية والخارجية رغم غياب الجزء الأكبر من البناء الفوقي (الهرم) لكن وجود أساسات الأهرامات والأسوار حولها ما تزال باقية في معظمها.

يتكون الهرم من مدخل stairway يحوي ما بين ١٩-٣٣ مدرجًا، تنحدر من الشرق إلى الغرب، ومن الأعلى إلى الأسفل، لتصل مدخلًا يقود إلى حجرة الدفن الأولى، ذات سقف مقطوع في الصخر الرملي النوبي؛ والجدران في بعضها مزيّنة برسومات للمدفون على الجانبين في وضعَيّ الحياة والموت. وتصطف بعض المعبودات، وكتابات بالخط الهيروغلوفي، مع تعاويذ مكتوبة من كتاب الموتى، ورسومات فلكية للسماء والنجوم. والغرفة الأولى تقود إلى الغرفة الثانية (غرفة الدفن الرئيسة) وهي تحوي رسومات وكتابات على جدرانها وفي الاتجاه الغربي توجد رسومات لقرص الشمس. بعض هذه الرسومات والكتابات زالت بفعل عوامل طبيعية؛ أما قطع المداخل والغرف والجدران والسقف فقد تمت بإتقان وهندسة معمارية رائعة، ما

تزال باقية (اللوحة ١٢).

تتكون أساسات الهرم من حجارة مستطيلة الشكل من الحجر الرملي، ويحيط بالأساس سور مبني أيضًا من النوع نفسه من الحجارة، وتعلو البناء العلوي حُجرة أو حجرات الدفن السفلية (الشكلان ٢ و ٣). ويبدو من تفاصيل غرف الدفن أنه لم يكتمل؛ ما يؤيد ذلك خلوّه من أساس جنائزي.

المعبد الجنائزي:

يقع المعبد في المنطقة الوسطى إلى الشرق من الجبانة الملكية، مقطوعًا داخل الصخر؛ وقد أشار إليه رايزنر سابقًا في مذكراته، وهو لا يزال تحت التنقيب. مدخله الرئيس من الناحية الشرقية، إذ يتم الدخول عبر مدرجات إلى صالة أمامية، ومن ثم يوجد مدخل آخر في الناحية الشمالية يتم الدخول عبره لقاعة كبيرة بها مجموعة من الأعمدة المقطوعة من الحجر النوبي الرملي يبلغ عددها ٢٦ عمودًا، متراصة بمسافات متساوية، كانت ظاهرة على السطح عليها بعض النقوش. والجدار الخارجي للقاعة مبني من الحجر النوبي الرملي (اللوحة ١٣). وفي الناحية الجنوبية توجد حجرتان مقطوعتان في الصخر، داخل كل حجرة

اللوحة ١٠: الهرم رقم (١) بالكرو في المنطقة السفلى من الجبانة، ما زال شامخًا.

اللوحة ١١) مداخل لحجرتان مقطوعتان في الصخر والمدخل يأخذ شكل arch.

اللوحة ١٢: الرسومات الجدارية داخل هرم الملك تآنوت آمني بالجبانة الوسطى.

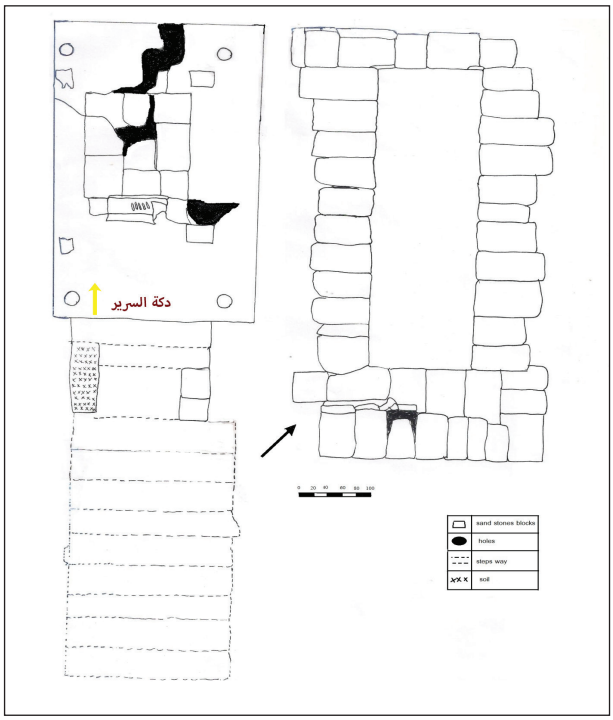

الشكل ٢: مخطط للهرم رقم ١٧ الخاص بالملك بيي ١- المخطط الأفقي ب- المخطط الرأسي.

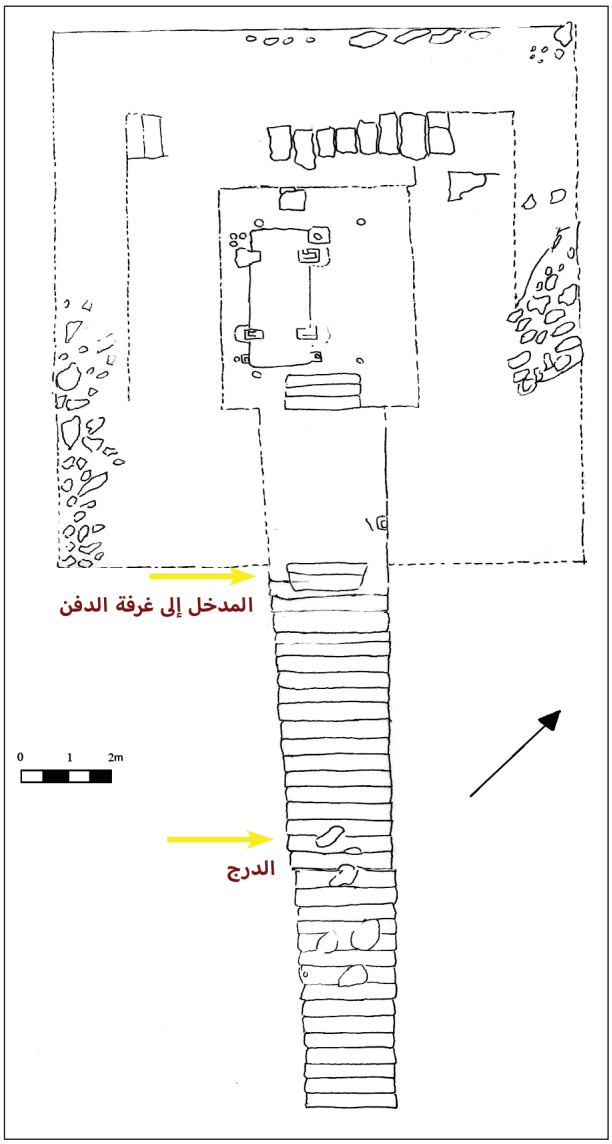

الشكل ٣: مخطط للهرم رقم ٣ والمدرج الذي يقود إلى حجرة الدفن.

اللوحة ١٣: القاعة الخارجية للمعبد الجنائزي والأعمدة الصخرية.

اللوحة ١٤: مدخل القاعة وخلفها مداخل الحجرتين المقطوعتين في الصخر.

أعمدة، وهناك ممر يصل بين الحجرتين. وتوجد بعض الفتحات الصغيرة أعلى العتبات في المداخل؛ ما يشير إلى أن هذه الفتحات خصصت لأبواب (اللوحة ١٤). خصص هذا المعبد لتجهيز المتوفى قبل دفنه في الجبانة. وذكر رايزنر في مذكراته أن هناك معبد آخر ملحق بالجبانة يقع في الناحية الجنوبية الشرقية من الجبانة الوسطى بدأت البعثة الأمريكية بإعادة حفر هذا المعبد في الموسم ٢٠١٦م.

إعادة استخدام مواد البناء بالمدافن

الأسوار:

كشفت الأعمال الأثرية في الموقع عن سور يحيط بالمدينة من الناحية الشرقية بالقرب من الأراضي الزراعية، كان قد أشار إليه رايزنر، بني من الحجر النوبي الرملي من نوع الحجارة نفسها الموجودة بموقع الجبانة الملكية، التي من المؤكد أنه جرى إعادة استخدامها في السور؛ ما سبّب اختفاء الحجارة من بعض أجزاء موقع الجبانة، كما ذكرنا سابقًا. ويبدو أن السور قد شيّد لاحقًا بعد الفترة الكوشية، لكن الشاهد في الأمر أن الحجارة -بحكم نوع مادتها الخام وحجمها وشكلها وطريقة قطعها- أُخذت من حجارة الأهرامات، ونقلت لبناء السور، ولا نشك في أن اكتمال العمل في هذا السور سيكشف عن بعض ما يؤكد ذلك (اللوحة ١٥).

المساكن والمنشآت الأخرى:

شيّدت في فترة أخرى لاحقة العديد من المباني التي كانت تخدم الوظائف المختلفة (دينية ومدنية) من الحجر الرملي النوبي، الذي جُلب من الموقع، ويظهر ذلك في منزل الشيخ محمد ودحاج (الأغبش) (اللوحة ١٦) وخلوة ومسجد الشيخ على الدويحي. كذلك استخدم في بناء مسجد مع الحجر الرملي النوبي الطوب المسيحي (اللوحة ١٧). كما استخدم الحجر أيضًا في شواهد المقابر، وفي مداخل بعض القباب الإسلامية؛ كل ذلك كشفه المسح الذي أجراه الباحث في المنطقة (إدريس٢٠١٣: ٨٤).

عندما جاء رايزنر للعمل في موقع الكرو شيّد معسكره إلى الغرب من الجبانة الوسطى، استخدم فيه كسرًا مهشمة من الحجر الرملي النوبي الذي تعذر عليه معرفة مكانه في المقبرة بالموقع (اللوحة ١٨).

التحليل والمقارنات والاستنتاجات:

تسهم وتثري جميع المكتشفات الأثرية في المواقع بشكل أو بآخر في إلقاء الضوء على طبيعة تفاعل الإنسان مع بيئته، كما تسهم في كشف جذور الثقافة وتطور الوعي التاريخي والإنساني. وهذا الكم من التراث العمراني، كان نتيجة لتراكم تجارب وخبرات اجتماعية وعلمية وتقنية وبيئية. وقد ترك لنا أسلافنا في موقع الكرو شواهد عمرانية متنوعة أبدعوا فيها بقدر ما أتاحته لهم بيئتهم من خبرات، واستفادوا من المقوّمات المتاحة وسخّروها لبناء حضارتهم التي ما تزال بقاياها تصارع العوامل الطبيعية والبشرية. فقد كان النيل مرتكزًا، ومن طبيعة المنطقة ومقوماتها سندًا، ومن التبادل الفكري مع الحضارات المعاصرة لهم دعمًا، فأخذوا ما يتناسب مع طبيعة المنطقة ومع معتقداتهم.

إن اختيار منطقة الكرو مقرًا لاستيطان موقت أو دائم، وربما مقرًا في البدء لأسرة ملكية، ومن ثم جبانة لموتاهم، لم يأتِ من فراغ؛ بل كان نتيجة لتراكم معرفي بالبيئة؛ حيث توافر الحجر النوبي الرملي الجيد في المنطقة، والدليل على ذلك وجود المحجرين داخل الموقع بالقرب من الجبانة في الناحية الشمالية والجنوبية، فقد تمت الاستفادة منهما في توفير المادة

اللوحة ١٥: اعادة استخدام الحجارة التي نقلت من الموقع لبناء السور.

اللوحة ١٦: منزل الشيخ محمد ودحاج القريب من الموقع تبدو عليه واضحة بعض الحجارة المشذبة التي جلبت من الموقع.

اللوحة ١٧: مسجد الشيخ على الدويحي قرب الموقع مشيد من حجارة مشذبة جلبت من الموقع.

اللوحة ١٨: المعسكر الذي شيّده رايزنر داخل حرم الموقع من حجارة أخذت من الموقع.

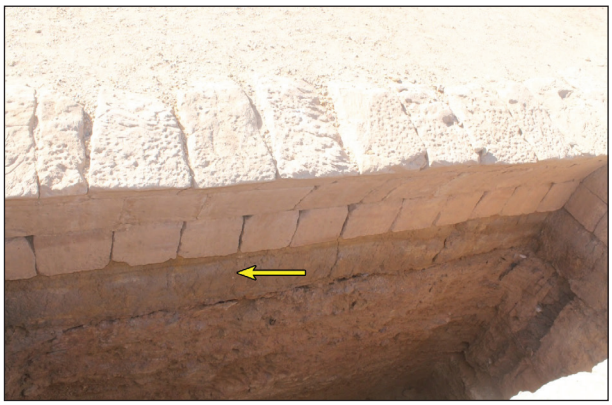

اللوحة ١٩: وضع المعالجة بالحجارة بعد الطبقة الثابتة.

اللوحة ٢٠: استخدام الحجارة أعلى الطبقة الحديدية الثابتة بالهرم رقم ١٨ شبتكو.

اللوحة ٢١: معالجة الأقواس أسفل الطبقة الحديدية بالهرم رقم ٣.

الخام لبناء الجبانات (في كل مراحلها المعمارية). كما نلاحظ التحول والتطور الواضح الذي حدث في الجبانة خلال أجيالها المتعاقبة رغم، اختلاف بعض تفاصيل المدافن من مدفن إلى آخر.

يرى الباحث أن الترتيب الزمني للمقابر الركامية يجدر أن يكون ركم (١-٤-٥) ثم يأتي (ركم ٢) وليس كما ذكر رايزنر ودزدنم، كما هو المسلم به حتى الآن. فالمدفن (ركم ٢) يحوي غرفة جانبية وهو تطور معماري يغيب في المدافن (ركم ١-٤-٥). إضافة إلى أن حفرة الدفن مستطيلة الشكل بينما هي في الأخريات مستديرة وبيضاوية؛ وعليه يكون الترتيب للمجموعة الأولى تسلسليًا يبدأ من (١، ٤، ٥ ،٢) بمعني ان (ركم ٢) يعد آخر مدفن في المجموعة الأولى.

ثم جاءت المجموعة الثانية التراكمية ذات السور التي تمثل الجيل الثاني، والتي بدأت بالمدفن كرو ٦ الذي استخدم فيه مقصورة أمامية من الطوب اللبن ولا توجد في المدفن كرو رقم ١٩، وكذلك يمكن أن نربط بين المدفن (ركم٢) والمدفن رقم (ركم٦) لوجود الطوب اللبن في كليهما. وثمّة ملاحظة أخرى في السور الذي يشبه حدوة الحصان؛ إذ يظهر الاختلاف في السور الخارجي للمدفنين (كرو ٦- و١٩) في وضعية حجارة السور المشذّبة في المدفن رقم (ركم ٦) مثلًا وضعت الحجارة في صفين، بينما وضعت في سور المدفن (ركم ١٩) في صف واحد؛ وهذا دليل على أن أصحاب هذه المجموعة استدركوا الأخطاء الموجودة في المدفن (ركم ٦)، فتمت معالجتها بصورة أفضل في المدفن (ركم ١٩). ومن هنا، يمكن أن نربط العلاقة بين الجيل الثاني (المدافن الركامية المسوّرة) والثالث (المصاطب) بالانتقال من المدفن المسوّر (ركم ١٩) إلى الجيل الثالث، الذي بدأ بالمسطبة ١٤.

رغم هذا الربط، حدث تحوّل في المجموعة الثالثة (المصاطب)؛ إذ تغير فيها محور اتجاه حجرة الدفن إلى (شرق -غرب)، بدلًا من (شمال-جنوب)، في الجيلين السابقين (الركامية والركامية المسوّرة). وثانيًا في شكل المقصورات الخارجية ومساحتها، وحجم الأكوام الموجودة داخل المساطب. ونلاحظ التحوّل الذي حدث في المسطبة كرو رقم ٨ الخاصة بالملك كاشتا (٧٦٠-٧٥١ ق.م.) الذي يعتقد أنه أول من غزا مصر، فالاختلاف بين مسطبته وبقية المساطب الأخرى (١٤،١٣،١١،١٠،٩) أنها ترتفع عن بقية المساطب كثيرًا

فوق حجرة الدفن وداخل المصطبة؛ ما يوحي بشكل هرمي كذلك، واستخدم الطوب اللبن للربط في البناء بين الحجارة بخلاف الأخريات التي استخدم فيها الجص الأبيض لربط الحجارة. هذا الشكل شبه الهرمي للمصطبة (كرو ٨) يوحي ببداية فكرة الأهرامات وبداية تنفيذها في الجبانة وإن كان بشكل بدائي.

ظهر الجيل الرابع (جيل الأهرامات) الذي بدأ بالملك بعانخي (كرو ١٧) ويعد هرمه أول هرم بني في السودان، وتفرّد بوجود حفرة واحدة للدفن، وجدت بداخلها مصطبة لوضع التابوت، وبلغ عدد مدرجات الهرم ١٩ مدرجًا. غير أن المدفن حفر في منطقة تحوي طبقات هشّة من الحجر الرملي المخلوط بطبقات جيرية؛ ما أدى -إلى جانب عوامل أخرى- إلى وضعه الحالي.

في المدفن التالي زمنًا لمدفن الملك بعانخي، شهد المدفن (كرو ١٥) مجموعة من التحوّلات تتمثل في زيادة غرف الدفن إلى حجرتين، وازداد عدد المدرجات نتيجة زيادة أحجام الأهرامات. كما نلاحظ أن هناك تطورًا حدث في أسلوب الحفر الذي تم بعناية تامة وبمعرفة للطبقات السفلى؛ فقد تم تنفيذ الحفر بمقاسات وأبعاد هندسية، وتمت بعض المعالجات في بعض الأهرامات بوضع الحجارة أعلى الطبقات الثابتة كما هو واضح في الهرمين (Ku17 بعانخي- وku-18 شبتكو) (اللوحة ١٩-٢٠).

في بقية الأهرامات المتأخرة، أصبحت المداخل تتشكل على هيئة أقواس الأبواب والعتب أسفل شريط من الطبقة الحديدية الثابتة مباشرة، وهذا واضح في الأهرامات (ku-15 هرم الملك شبكو) (والهرم KU-3 الخاص بالملكة نابري والهرم Ku-٤ الخاص بالملكة خانسو (اللوحات ٢١-٢٣). ونسبة لغياب الشكل الخارجي للأهرامات لم يكن من سبيل لملاحظة تباين معماري الأهرامات المتأخرة (ku-1 وku2) التي تعود لفترة متأخرة عن تلك تميز الموقع، لاحظنا وضع الحجارة بمعايير هندسية، وضحت في القاعدة الخارجية للهرمين، وذلك بوجود خطوط مستقيمة بمسافة متر واحد بين الخط والأخر في حجارة القاعدة، وكانت الكتل الحجرية توضع على هذه الخطوط كلما صعدنا للأعلى، لتكون المسافة

اللوحة ٢٢: معالجة الأقواس أسفل الطبقة الحديدية بالهرم رقم ٤.

اللوحة ٢٣: معالجة الأقواس أسفل الطبقة الحديدية بالهرم رقم ١٨.

١٠سم حتى يتم تنفيذ التدرج في الهرم (اللوحة ٢٤-٢٥٤).

هناك طبقة حديدية رقيقة وسميكة تتوسط طبقات الصخر الرملي النوبي، نتجت هذه الطبقة عن التحام «السلكا» مع مكونات رملية، شكلت هذه الطبقة التي تتميز بدرجة عالية من التحمّل، يعمد الكوشيون إلى أن لا يتجاوز سقف المدخل هذه الطبقة الجيرية التي يرقد تحتها فتحة المدخل وقد ساروا على هذا النهج في كل الموقع، وبخاصة طبقة السلكا التي تغطي الموقع بكامله.

خلاصة

بالرغم من تعدد الأبحاث، والآراء، حول الكرو، فإن الدراسات التي قام بها كل من "محمد علي، وعبدالله

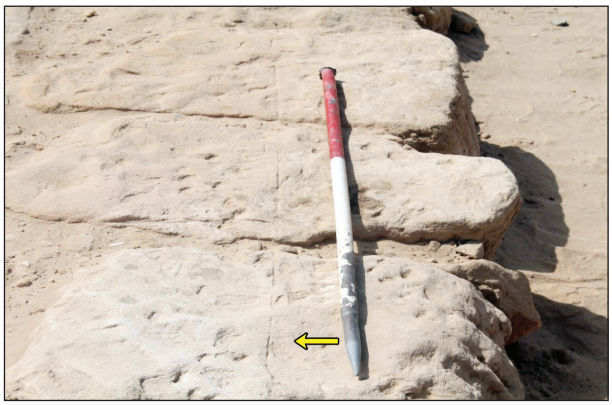

اللوحة ٢٤: الخطوط التي توضع عليها الكتل الحجرية بمقاسات هندسية لتنفيذ تدرّج الهرم.

اللوحة ٢٥: المسافة بين الكتل السفلى والتي تعلوها ١٠سم لتنفيذ التدرج في الهرم.

وكندال" تعد من أكثر الدراسات المنطقية التي برهنت على إن جبانة الكرو تظهر تطورًا محليًا في البناء السفلي، والعلوي ، متسلسلًا زمنيًا حسب التتابع الطبوغرافي لمواقع المقابر، من أعلى الجبانة إلى أسفلها. تدعمه مظاهر أخرى تتمثل في كوشية أسماء الملوك، ونظام وراثة العرش عبر الأم ونحو ذلك.

من كل ذلك، يتضح أن المدافن الملكية في الكرو شهدت تطورًا متسلسلا، من مدافن دائرية ركامية لا تحتوي على سور أو مقصورة جنائزية، مع وجود حفرة الدفن في الاتجاه الغربي من المدفن، ثم تحول البناء الفوقي الدائري سورا أشبه بحدوة الفرس، مع الاحتفاظ بالبناء الدائري العلوي، والغرفة الجانبية التي يوضع فيها المتوفى، وإضافة مقصورة جنائزية للبناء الفوقي. ثم تواصل البناء العلوي الدائري الذي أصبح يحيط به بناء في شكل مربع، وسور يحيط بالبناء في شكل مستطيل، وهو ما يعرف بالمصطبة. ثم تحولت حجرة الدفن إلى اتجاه شرق-غرب، وزودت بمدرجات.

وفي المرحلة الأخيرة، اتخذ البناء العلوي شكل الهرم، وأصبح الوصول إلى حجرة الدفن يتم عبر درج طويل يختلف طوله من هرم إلى آخر حسب حجم الهرم يقود الدرج إلى حجرة الدفن الموجودة أسفل الهرم. وهذا النوع الأخير حدثت فيه بعض التطورات، مثل تزايد أعداد حجرات الدفن إلى حجرتين، ثم إلى ثلاث حجرات في الأهرامات المتأخرة (الهرم رقم ١).

وقد لعبت البيئة دورًا مهمًا في تشكيل العمارة، وعكست الارتباط الوثيق والتلاؤم والتكيف بين الإنسان والبيئة، واستفاد الإنسان مما حوله من مواد متاحة ومتوافرة في بيئته المحلية؛ ليشيد معماره الذي يخدم كل الوظائف السياسية والدينية والسكنية والعسكرية.

كما أسهم الحجر الرملي النوبي المتوافر في المنطقة في تشكيل العمارة بالموقع، وعكس إحساس الإنسان بالطبيعة المحيطة به إحساسا عميقًا، وهذا الإحساس لم يأتِ من فراغ، بل سبقه اكتشاف للنظام البيئي المحيط بالمنطقة. كما أسهمت العوامل المناخية والتاريخية والاقتصادية والدينية بشكل كبير في تصميم عمارة الموقع.

ونجد أن ظاهرة التأثير المتبادل موجودة في الحضارات القديمة، وهذه إحدى خصائص نمو الحضارات وشروطها، فقد تأثرت الحضارة السودانية بالحضارة المصرية وظهرت آراء متباينة حول وجود أثر ثقافي مصري في بلاد النوبة في الفترة ما بين نهاية الأسرة العشرين حتى قيام مملكة نبتا، يرى آدمز أن بعض الكوشيين المتمصرين حافظوا على التقاليد المصرية، وذلك بمساعدة المهاجرين المصريين؛ مستدلًا بوجود معبد آمون الذي بناه المصريون بجبل البركل. أما ديكسون فيرى عدم وجود دليل يؤكد أن المعابد التي أقامها المصريون في النوبة لعبت أي دور في حضارة نبته، مثلها مثل المعابد التي أقامها المصريون في النوبة السفلى فقد كان غرضها إظهار سيادة الفرعون الحاكم.

وأن معابد النوبة السفلى نفسها أهملت وهجرت منذ عهد الأسرة العشرين (عبدالجبار، ٢٠١٣: ١٥٨). ولكن بالرغم من ذلك هناك عدة أشكال ظهر فيها التأثير المصري على الحضارة الكوشية، وهذا التأثير لم يطمس بعض الجوانب المحلية، وهذه التأثيرات هي:

١- عبادة المعبود آمون. وقد اشترك في عبادته الكوشيون والمصريون؛ وذلك لتداخل الحضارة السودانية في عهد الكوشيين مع الحضارة المصرية. وهناك إشارة واضحة لمكان الكبش (رمز آمون) في حضارة كرمة؛ ما يمكن أن يربط آمون بنبتة بآمون كرمة.

٢- الكتابة المصرية القديمة وجدت طريقها إلى الحضارة الكوشية (على جدران المعابد والأهرامات والخراطيش).

٣- وجود الفخار المصري بالسودان يوضح عمق العلاقة بين الجانبين والعلاقات التجارية المتبادلة.أما الجانب المحلي في الحضارة، فقد أثارت نظرية الأصول العرقية للأسرة ٢٥ الكثير من الجدل وظهرت العديد من الآراء والنظريات منها الأصل (المصري والليبي والمحلي). ولكن من خلال التطور المعماري لجبانة الكرو نستطيع أن نجزم بمحلية تلك الأسرة وذلك من خلال الآتي:

١- البناء الفوقي للقبر: الكومة الدائرية المتناثر عليها الحصى عادة محلية قديمة، عرفتها حضارات «المجموعة ج»، وحضارة كرمة منذ الألف الثالثة ق.م.

٢- توجيه القبر شمال-جنوب هي أيضًا عادة محلية مارستها كل الحضارات المحلية القديمة «المجموعة أ «والمجموعة، ج». والتحوّل الذي تم في التوجيه (شرق-غرب) تم في عهد كاشتا، أول حاكم كوشي غزا مصر.

٣- عادة وضع المتوفى على السرير (عنقريب) وتثبيته على دكه حجرية، تحفر زواياها الأربع في حفر صغيرة، هي عادة مارسها أهل حضارة كرمة.

٤- عادة دفن الحيوانات في الكرو (الخيول)، لم تعرف في الحضارات القديمة المعاصرة (مصر وليبيا).

٥- تزيين الملوك الكوشيين بالحلي والأساور والقلائد والطاقية الكوشية، وطقوس التتويج خلافًا عن الطقوس المصرية.

٦- تظهر جبانة الكرو تطورًا محليًا في الأجزاء العلوية والسفلية، متسلسلًا تسلسلًا زمنيًا نسبيًا، حسب التتابع الطبوغرافي لمواقع المقابر من أعلى إلى أسفل (أفضلية المكان).

٧- شهدت مدافن الكرو تطورًا هائلًا ومتسقًا، لم يحدث في الحضارات السابقة، إذ كان التغيير فيها تدريجيًا وبطيئًا.

٨- شيّد الهرم ارتفاعًا لا يتناسب وقاعدته مقارنة مع نظيره المصري؛ ما يعطيه مظهرًا متدرجًا بشكل واضح ومتوسط زاوية الانحدار ٦٠-٧٠ درجة.

٩- عندما نشأت نبتا لم يكن الهرم مستخدمًا لدفن الملوك المصريين، وهذا يعني أن بعانخي وخلفاءه قد أخذوا هذه الظاهرة المعمارية ولم يقلدوا معاصريهم من المصريين.

١٠- مدرجات الأهرام تختلف في شكلها عن مثيلاتها المصرية، إذ كان للأهرامات المصرية ست أو ثمان درجات تقود إلى حجرة الدفن، لكن الأهرامات الكوشية لها درجات تُراوح بين ١٩-٥١ درجة، والكوشية مبنية من الحجر النوبي الأملس وكان لها كوّة في الجزء العلوي وتوجد حجرات الدفن مقطوعة داخل الصخر أسفل الهرم (فخري ١٩٦٣: ٣٤٧).

من خلال ما ذكر، نستطيع القول إن الجبانة الملكية في الكرو حافظت على التقاليد المحلية من أسلافهم خلال العصر البرونزي (المجموعات الحضارية أ، ج وحضارة كرمة) بل أضافوا عليها وطوّروها عندما دعت الحاجة لذلك، إلى جانب تأثيرات خارجية، وكان التطور

سريعاً، مقارنة بمعاصريهم.

هناك ملاحظة أخرى، هي أن نهر النيل لعب دورًا مهمًا وأساسيًا في اختيار أصحاب هذه الحضارة لهذه المنطقة، لإنشاء مواقعهم فيها (الكرو، ونوري، وصنم ابي دوم، والبركل) بنظرية أفضلية المكان؛ لأن النيل في هذه المناطق ينساب بهدوء دون عوائق، ويمتد سهله الفيضي الذي يستقبل كميات وافرة من ترسبات طينية غنية، أسهمت هذه العوامل في نشأة قرى ومستوطنات ومدن، رسمت قاعدة لحضارة عظيمة كرصيفتها في مصر.

لم تكن الحضارة الكوشية امتدادًا للحضارة المصرية وليس تقليدًا لكل ما هو مصري، كما أنها لم تكن مسخًا لها؛ إنما كانت حضارة شكلت ثاني قوة في العالم، في وقتها كانت مصر كلها تحت سيطرتها لقرن من الزمان ووقفت أمام الزحف الأشوري لفترة من الزمن، وما إلى ذلك من انجازات وابتكارات محلية، منها ابتكار حروف صوتية للكتابة استخدمتها في شؤونها الإدارية.

د. محمد فتح الرحمن أحمد إدريس: قسم الآثار - جامعة دنقلا- السودان.

المراجع:

أولًا: المراجع العربية

السيد، عبدالعزيز، ١٩٧٢، **مصاد المياه الجوفية في الوطن** العربي، -القاهرة.

النور أسامه عبدالرحمن، ٢٠٠٦، **دراسات في تاريخ السودان القديم امدرمان**، مركز عبدالكريم ميرغني-الخرطوم.

فخري، أحمد، ١٩٦٣، **الأهرامات المصرية**، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة.

قادوس، عزت زكي حامد، ٢٠١٤م، **تاريخ عام الفنون**، دار المعارف الإسكندرية.

عبدالله، عبدالقادر محمود، ويوسف مختار الأمين، ١٩٩٩، «العلاقات السودانية المصرية في العصور القديمة رؤية جديدة» **الملتقى الثاني لجمعية الاثاريين العرب** -الندوة الأولي- السعودية.

عطية، إبراهيم أحمد، ٢٠٠٤م، **تكنولوجيا مواد الآثار** -الدار العالمية للنشر والتوزيع -القاهرة.

محمد علي، العباس سيد أحمد، وعبدالقادر محمود ٢٠١٠ «أصل الأسرة الخامسة والعشرون لمصر كما تعكسه الجبانة الملكية السودانية في الكرو» **مجله الدراسات الإنسانية**-العدد الثالث-يناير ٢٠١٠: ٢٦-٤٩، الخرطوم.

إدريس، فتح الرحمن أحمد محمد، ٢٠١٧م، **العمارة الإسلامية بمحلية مروي** - منشورات سنار عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٧م - الخرطوم.

نعمات عبدالجبار، ٢٠١٣، «العلاقات السودانية المصرية القديمة»، مجلة **المؤرخ السوداني**. دورية الجمعية التاريخية السودانية - شركة مطابع السودان للعملة.

وهيبة محمد عبدالفتاح ١٩٩٠، جغرافية العمران - دار المعارف الإسكندرية.

ثانيًا: المراجع غير العربية

Adams.W.Y. 1977. **Nubian corridor to Africa**, London.

Dunham, D. 195. **The royal cemeteries of Kush volume 1, ElKurru,** Harvard university press, Cambridge. Massachusetts.

Geoff. E. and. Rachael J. and Abbas. M. 2015. "Aroyal cemetery of kush Archaeological Investigations at ElKurru Northern Sudan 2014-2015", Sudan and Nubia. Pp54-55, **Bulletin** No. 19, London.

Kendall. T. 1999. "The Origin of the Napatan State: ElKurru and the Evidence for the Royal Ancestors Akten der 7", **Internationalen Tagungfur meroitistische Forschungenvom 14. His 19. September 1992 in Gosen** /bei Berlin pp3-117

Kendall. T. 1982. **Kush 'lost kingdom of the Nile"** Brockton mass Brocktonartmeseume.

Reisner G. A. 1919. "Discovery of the Tombs of the Egyptian XXVth Dynasty at El-Kurru in Dongola Province", **SNR** No. 4. 237-245